الجهاز الوزاري

•

كان يوجه الاهتمام في تأليف الوزارات الى (الانسجام) دون غيره في هذه العاصمـــة كلما حل موسم من مواسم التشكيلات الوزارية . وكان الفشل يرافق هـذا الاهتمام على الاغلب في جميع الوزارات العراقيـة اذا ضمت الوزارة جناحيها على رجلين يريان لنفسيهما شأنا ، او يعرفان في ذاتيهما شيئاً من القوة .

وكان — من اجل ذلك — يروق لرؤساء الوزارات ان يختاروا الضعفاء من الموظفين ومن بحكمهم يحشون بهم مراكز الوزارات تفادياً من نقد المعارضة وطعنها على الوزارة بعدم الانسجام، هذا الطعن الذي كان يبدو انه الطعن المخيف الوحيد ..!

ونشأ من ذلك ان فتح الله على المعارضة بطعن جديد .. هو الطعن على الوزارة بضعف العناصر ، وبكون الوزارة أقرب الى الوظيفة منها الى (المركز السياسي) .

هذا الذي كان .. واننا لنستخلص منه ان نقد الجهاز الوزاري حتى الآن يتنقل بين دائرتين :

الاولى : عدم الانسجام .

وعيب الوزارة في منطق هذا النقد هو (التنافر) المخل بعملها وما يلزم ذلك من ضعف التضامن ، ومن انصراف كل عضو في الوزارة الى شؤونه الخاصة مستفيداً من (المركز) المحدود المدة الى أبعد حد .

الثانية : ضعف الوزراء .

وعيب الوزارة في منطق هذا النقد يشير الى الشلل العام الناجم من عدم شعور الوزير بالمسؤولية وعدم اشتراكه فيها باكثر مما يوحيه اليه الوزير القوي . ويؤول هذا بطبيعته الى حصر المسؤولية في فرد فتضيع الفائدة المقصودة من تعدد الوزارات لتمشية الاعمال وخدمة الصالح العام .

هذا فضلاً عما يستلزم ذلك من بعض خلائق الدكتاتورية الذميمة في بلد وعصر ديمقراطيين .

بهذين (الطعنين) الاساسيين كان حتى الان ينحصر النقد على الوزارات السابقة ، واننا لنحب في هذه (الدورة) من (التطور) المرتقي ان نرى شيئاً آخر غير هذا وذاك من قصور الوزراء و(قصرهم) عن (طول) الوزارة بالمعنى الذي يطمح اليه عصر مثقف ، وشعب واع يتطوع الى حياة أفضل ...

ولننظر في القوة التي تجب للوزير كيف يراها بعض الوزراء الى الآن ، وكيف يجب ان يروها على ضوء المقاييس الواقعية .

الوزير القوي – الى الآن – في نظر نفسه وفي نظر اكثر عارفيه هو الذي يتسلح بلغة جافية ، وخلق صعب ، وأمية شاملة ، وبالتالي عاطفة مندفعة تدير ذلك وتسيطر عليه في علاقة الوزير بعمله وبمن يراجعه في هذا النطاق ، لكأن الوزارة من أطيان (ابيه) المتروكة ، ولكأن الناس من الرقيق الذي وقفه تراثه على خدمة تلك (الاطيان) ..!

وانني لأعرف وزيراً [1] نال شرف الوزارة في نوء من الانواء (التأخرية) ما زال يرصد للوزارة في كل دورة من دوراتها، وما يزال يشترك في ادارة السياسة العامة حتى في الازمات الصعبة ، وما يزال يلهو بمنصب لا يقل عن الوزارة في فترات بعده عنها .. ما يزال يدلل على هذا النحو لانه (قوي ..!) أي لانه يتسلح بلغة جافية ، وخلق صعب ، وأمية شاملة .. وبعاطفة مندفعة تدير ذلك كله وتسيطر عليه ، فاذا غضب او اهتز اتسعت عيناه ، وانتفخ منخراه وأدار لسانه بسباب لا يرتفع عما الف من لغته قبل ان يكون وزيراً ، وما اكثر ما يهدد من يغضب عليه بحرمانه من دخول (المؤسسة) العامة التي يحمي نفسه باسمها لكأنها الاخرى من (أطيان) المرحوم ..!

وكم نصحه المشفقون عليه أن يُلين الصلب من خلقه بقياً على نفسه بعد ان كثر هراشه واستبان انه أضعف – حين يجد الجد – عن أن يغلب غلة على قمحة ، ولكن هيهات أن يكون الصلب

(١) لايذهب الى الذهن ان المقصود بهذا الوزير هو صالح جبر فصالح جبر لايعاب بهذه الصفات التي هو بعيد عنها .

ليناً .. وقد كان ليناً فصلب ..!

وهذا وأمثاله عذرهم في ان يجاروا معارفهم بفهم معنى (القوة) في الوزارة او القوة التي توصلهم اليها كما رأينا ، فقـــد الفوا معنى القوة في الأحياء القديمة ، وعدة القوة في هذه الاحياء هذه الغلظة الملائمة لاخلاق الاقطاع والامية .

هذا نموذج للقوة التي ما يزال بعض الوزراء يراهـا اداة لحفظ (امتيازاته) ووسيلة الى ركوبه متن الوزارة ، وأماناً يحميه من دورة فلكها السائر .

ولا تطيب حياة في مثل التحرر الحاضر السائر بسرعة البرق تحت ظل هذه الافهام المنعكسة . بل لا بد في هذه الحال – وهي الحال الراهنة – من مجاراة الواقع بتفسير (القوة) تفسيراً يعطيها معناها الصحيح ، والقوة في الوزير هي رصانة الخلق وسعة الثقافة وسمو التهذيب ، ومعرفة المصلحة . وبالتالي اخـلاص يسيطر على ذلك كله فيخضع له سلوك الوزير في مكتبه ، ونعني ما يتصل بهـذا المكتب من مصالح البلاد فلا تؤثر عليه رشوة أو تستخفه عاطفـة او يهده ضغط او تزله واسطة في وداعة ورفق دون ضعف .

وعلى أساس المقابلة بين المعنيين في هذه الظاهرة من الظواهر التي يحتاجها الوزير نستطيع ان نخرج بموازنات كثيرة تظهر لنـــا البون الشاسع بين أوهام الطبقة الحاكمة وبين مطالب الوعي التي تنكشف عنها ضرورات العصر الحاضر يوماً فيوماً .

ومن ذلك يتبين لنا بوضوح ان الوقوف عنـد ضعف الوزراء وعدم الانسجام في فقد الجهاز الوزاري لم يعد كافياً ولا معبراً عن

التطلع الحقيقي لاصلاح هذا الجهاز الذي نعتبر اصلاحه أساساً قبل كل أساس في توجيـــه سياسة عامة مطمئنة لرغبات الشعب في الداخل والخارج .

وقد أصبح من المفروغ منه ان هـــذه الطبقة من الوزراء القدماء وممن رشحهم الوزراء القدماء شبكة لا ترضي الرأي العام ولا تقدر على عمل جدي في اصلاح الانظمة وتطبيق القوانـــين ، باستثناء افراد قليلين في تلك (السلاسل) . وحسب الناس دليلاً على ذلك، الاسطورة التي لا تصدق لولا انها حقيقة واقعة وهي : جوع اربعة ملايين ونيف - وهم سكان العراق حسب الاحصاء الجديد - في قطر خير غني كالعراق يتسع لثمانين مليوناً تمهد لهم اراضيه ومياهه وخيراتها أوسع السعة من النعمة والرخاء .

لذلك بات في نفوس الناس جميعاً ان اصلاح الجهاز الوزاري مفتاح للاصلاح العام الضامن للنهضة المطلوبة .

وان عزل الطبقة التقليدية الحاكمة من الوزراء امر لا يتم هذا الاصلاح بدونه ،لان هذه الطبقة التي مارست الحكم ربع قرن دون ان تنفع البلاد برهنت على عجزها بالادلة التي اقنعت الجمهور بعجزها وبشيء آخر هو ارتباط مصالحها الخاصة بمصالح المستعمرين .

وبعد فالعراق يريد ان تطلع الوزارات القادمة من صفوف الشبان ذوي الكفايات الثقافية والوطنية . ولا نعرف شيئاً يحتاجه هـــذا الوطن كحاجته إلى إيمان ابنائه به .